

الدرس (221) من شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري بالمسجد الحرام

خالد المصلح

والمحضود ان الله تعالى خفف عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعن الامة بما جرى من حسن استقبالهم لحكم الله ورسوله حيث قالوا سمعنا واطعنا. وهكذا ينبغي ان يكون المؤمن في مقابلة احكام الله وما يقرأه من كلامه - 00:00:00
هذا الكلام هو رسالة الله لنا لي ولك فاذا قرأت هذا الكلام فاعرض نفسك على القرآن. واياك ان تتوهب ان هذا خطاب غير موجه اليك ان هذا الخطاب غير موجه - 00:00:19

اليك بل هو موجه لكل مؤمن ومؤمنة والخطاب فيه للجميع فيجب على المؤمن ان يبذل وسعه وجهده في ان يفهم كلام ربه جل في علاه وان يعي معانيه ثم بعد ذلك - 00:00:33

ذلك يجد ويجهد في العمل بما فتح الله تعالى عليه من ذلك فان هذا به ينال هذا الشهادة الالهية امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله - 00:00:46

لا نفرق بين احد منهم وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليكم المصير هذا هو الذي ينبغي ان يكون الانسان عليه في تعامله مع ايات الذكر الحكيم. نعم باب قول الله تعالى ويونس ولوطا وكل من فضلنا على العالمين - 00:01:05
قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن مهدي قال حدثنا شعبة عن قتادة عن ابي العالية قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم - 00:01:28

قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى قال حدثنا ادم ابن ابي اياس قال حدثنا شعبة قال اخبرنا سعد بن ابراهيم. قال سمعت ابن عبد الرحمن ابن عوف عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال - 00:01:48
فينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه المشار اليه هو ما ذكره الله تعالى من محاجة ابراهيم لقومه في شأن ما كانوا يعبدون في قوله تعالى واد قال ابراهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما لله - 00:02:15
اني اراك وقومك في ظلال مبين اتتخذ اصناما لا تتكلم لا تخلق لا ترزق ليس منها نفع ولا تملك ضرا واحدا؟ اتتخذ اصناما لله؟ اني اراك وقومك في ظلال مبين - 00:02:40

ثم قال تعالى في بيان ما اقامه ابراهيم عليه من حجة اذ ان قوم ابراهيم كانوا يعبدون الكواكب ويجعلون لهذه الكواكب صورا من الالهة والاصنام التي يتقدرون اليها ترمذ الى ما كانوا يعبدون - 00:03:02
من الالهة السماوية بالافلاك والنجوم ولذلك كانت الحجة في ابطال عبادة هذه النجوم وانتقى فيها متدرجا الاصغر ثم الافضل ثم الافلك.
قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملکوت السماوات والارض وليكون من الموقنين اراه الله تعالى من الایات - 00:03:22
وفتح بصيرته للاعتبار بما في هذا الكون من عظام خلق الله وبديع صنعه ما يوجب اليقين والا يكون في قلبه ريب او شك فالاليقين هو اعلى مراتب اعلى مراتب الایمان - 00:03:53

وكذلك نري ابراهيم ملکوت السماوات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل اي غطاء وستره فالجن هو الستر ولذلك سمى الجن جنا لانهم يستترن وسميت الجنة بهذا الاسم لانها تستر ما ما في داخلها - 00:04:12
بكثافة اشجارها شدة اه تلائم هذه الاشجار فيستتر من فيها فلما جن عليه الليل اي ستره الليل رأى كوكبا كوكبا من الكواكب فقال

رأى كوكباً قال هذا هم يعبدون الكواكب. فانتقى كوكباً من الكواكب قال هذا ربِّي. يعني هذا الذي خلقني معنِّي ربِّي -

00:04:38

هذا الذي خلقني وهو الذي يستحق العبادة فلما افل غاب قال لا احب الافرين لانه لا يمكن لاله ان يغيب عن خلقه فلما غاب بعد ظهور دل ذلك على عدم صلاحيته لان يكون لها - 00:05:08

فلما رأى القمر بازغاً اي ظاهراً مكتملًا قال هذا ربِّي هذا الذي اعبد وهو الذي يستحق التوجه اليه وهذا من باب اقامة الحجة على قومه. والا حاشاه ان يكون يعتقد ذلك او يؤمن بذلك - 00:05:30

ولهذا قدم الله تعالى قبل هذه المحاجة ما كان عليه من ايمان قال وكذلك نري ابراهيم ملکوت السماوات والارض وليكون من المؤمنين فهو موقن بما بصره الله تعالى به واراه من الآيات العظيمة الدالة على عظم قدر ربه وانه لا يستحق العبادة سواه جل في علاه - 00:05:50

قال فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربِّي فلما افل غاب القمر قال لان لم يهدني ربِّي لاكون من القوم الضالين هنا لم يقل المقالة الاولى المقالة الاولى مستمحضرة هنا لان الكوكب لما غاب قال لا احب الآفلين - 00:06:15

ومعنى لا احب الآفلين لا يستحقون العبادة. لماذا؟ لان قوام العبادة على المحبة فإذا كنت لا تحبه فانت لا تعبده قوام العبادة على المحبة لا تكون عبادة الا بمحبة وعبادة الرحمن غاية حبه متهى الحب - 00:06:37

له جل في علاه مع ذل عابده الذل هو الانخفاض والافتقار والتعظيم لله عز وجل مع ذل عابده هما قطبانه قطبان تقوم عليهما العبودية فال العبادة كمال الحب مع كمال الذل كمال الحب مع كمال التعظيم لله عز وجل - 00:06:58

فما قاله في الآية السابقة مستحضره هنا لانه افل وهو قد لا احب الآفلين اذا هو لا يحب القمر كما لا يحب الكوكب. لكنه زاد هنا امراً يلفت به انتظار قومه الى ما ينبغي - 00:07:21

ان يستحضره عند طلبهم الحق وسعيهم في تحصيله قال لان لم يهدني ربِّي لاكون من القوم الضالين يعني لو لم ييسر الله تعالى لي الهدى ويفتح لي ابواب الهدایة فاني ساكون من الظالين وهذا لا شك فيه - 00:07:36

وقد نادى الله تعالى عباده كما في الصحيح من حديث ابي ذر قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني يعني اطلبوا الهدایة مني - 00:07:58

اهدكم وهذا ما ذكره ابراهيم عليه السلام هنا قال لان لم يهدني ربِّي اي لان لم يفتح الله تعالى قلبي ويشرح صدري وينير بصيرتي لاكون من القوم الضالين المستغلين بعبادة ما سواه - 00:08:17

وهنا يبين ان له ربا ليس ما ذكره في الآية في الموقفين السابقين. قال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربِّي جريأ على ما كانوا يعتقدون من ربوبية هذه الكواكب - 00:08:39

هذا اكبر يعني هذا فيه ميزة اكبر من غيره انه اكبر اكبر من كل ناحية اكبر اضاءة وакبر حجما واكبر حرارة فهو من حيث التأثير على الارض اعظم من تأثير - 00:09:01

الكواكب واعظم من تأثير القمر فلما افلت غابت قال يا قومي اني بريء مما تشركون. فكل هذه الالهة الثلاثة التي يعبدوها قومه لا تصلح ان تكون الة لانها تأفل وتغيب وتستتر - 00:09:15

ولا تعلم شيئاً عما عندهم يعبدوها قال يا قوم الان تمت الحجة عليهم ببيان ظلال سعيهم قال يا قوم اني بريء مما تشركون. بريء والبراءة هي الخلوص التام فالبراءة التي ذكرها الله تعالى هنا في مقال ابراهيم عليه السلام اي انه خلص خلص منهم - 00:09:35

بكل وجه قد ذكر الله تعالى ذلك عن ابراهيم حيث قال لابيه وقومه اني براء مما تعبدون. اي خالص البراءة تام الانفكاك عن عبادتكم لغير الله تعالى مما تشركون اي من الذي تشركون به جل في علاه - 00:10:05

بعد هذا بين لهم من الذي يعبد؟ ومن الذي يستحق العبادة؟ فقال اني وجهت وجهي للذي خلق السماوات والارض للذي فطر السماوات والارض وما انا من المشركين فطر السماوات والارض - 00:10:26

وذكر السماوات التي هي محل هذه الكواكب التي يتوجهون إليها بالعبادة. وذكر الارض لأنهم نصبوا لهذه الكواكب فرب السماوات خالقها ومالكها ورازقها ومدبرها والارض كذلك هو المستحق للعبادة هو الذي يتوجه إليه قال اني قال عليه السلام اني وجهت وجهي وجهي - 00:10:43

يعني طببي وغرضي قلبي فالوجهة هنا هي القصد والارادة اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا يعني ومستقيما على التوحيد مائلا عن الشرك حنيفا ولتأكيد هذا المعنى وما انا من المشركين في شيء من اعمالهم ولا في شيء من عقائدهم 00:11:11 -

ثم ذكر المحاجة التي بينه وبين قومه بعد هذا البيان قال وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني اهدايى الى عبادته وحده لا شريك له ثم هددوه بالهتهم قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء الله ربى شيئا. يعني لا اخاف ما يمكن ان يقع بي من 00:11:38 -
الضر الذي تتوعدون لكنني اخاف ما يشاء الله تعالى مما قد يقدر. فالخوف له فالا هنا استثناء منقطع بمعنى لكن لكن ان يشاء ربى شيئا فهنا هو الذي ينبغي ان ان يخاف وسع ربى كل شيء علما. افلا تذكرون؟ ثم قال وكيف اخاف ما اشركتم - 00:12:03
ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فليس لكم حجة ولا برهان ولا ما يقيكم غضب الرحمن من البينات على صحة ما انتم عليه. فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون؟ الذين امنوا. الجواب الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم - 00:12:30
بظلم بالنظر الى الاية السابقات الظلم هو الشرك كما دل عليه السياق او لئلک لهم الامن وهم مهتدون. بعد ذلك قال وتلك حجتنا يعني المتقدمة في بيان صدق عبادة الله وحده وبطلان عبادة ما سواه وتلك حجتنا اتياناها ابراهيم على قومه - 00:12:55

نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم. ورفع العبد بالدرجات انما يكون بالايام والعلم والتقوى والصلاح وهذا الذي رفعها الله تعالى به ابراهيم بما كان عليه من علم بالله وتوحيد له واستقامة على شرعه وصبر على - 00:13:18
فيه جل في علاه ووهبنا له ذكر ما انعم به على ابراهيم عليه السلام بعد ما ذكر ما جرى قال وهبنا له ويعقوب اسحاق ابن المباشر ويعقوب ابن ابن فهو حفيد - 00:13:42

كلا هدينا وهذا من رحمة الله ولطفه بابراهيم ان وهبه ذرية وهدى هذه الذرية فاسحاق فاسحاق وعليه السلام نبي ويعقوب كذلك نبي. ثم قال ونوح هدينا ونوح هدينا نوح سابق على ابراهيم - 00:13:58

ولكنه ذكره لانه من اولي العزم من الرسل وهو ابو الانبياء الثاني كما آآ وهو ابو الانبياء الاول لان كل الانبياء من ذرية نوح عليه السلام اما ادم فهو ابو البشرية جميعا. الانبياء وغيرهم - 00:14:18

ابو البشرية جميعا الانبياء وغيرهم. قال ونوح هدينا من قبل ومن ذريته الظمير يعود الى من قيل يعود الى اقرب مذكور وهو نوح وقيل يعود الى ابراهيم لان الحديث عنه وعن ما كان عليه وما منحه الله تعالى ايات - 00:14:37
جي بنوح عليه السلام انما هو لذكر خاصيته في سبقة وانه من اولي العزم من الرسل. قال ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وهؤلاء كلهم من ذرية ابراهيم عليه السلام - 00:15:02

وكذلك نجزي المحسنين وهذا يدل على ان الحديث عن ابراهيم لان الله ذكر وهبة ثم ذكر سبب هذه الهبة ما سبب هبة ابراهيم؟ ما وهب فهو ايش ها الاحسان ولذلك قال وكذلك نجزي المحسنين ففهم من هذا ان الحديث ما زال عن ابراهيم ثم عاد قال وذكرها ويحيى وعيسي - 00:15:23

واليس كل من الصالحين هؤلاء من ذريته والذي جمع هؤلاء جميعا انهم من الصالحين. ثم قال واسماعيل وهذا يدل على ان الحديث عن ابراهيم عليه السلام فاسماعيل صنه اسحاق فهو ابن ابراهيم - 00:15:47

المباشر بل هو ابنه الاول اليه يرجع نسب النبي صلى الله عليه وعلى الله وسلم واما اسحاق عليه السلام فعنه تفرع جميع انباءبني اسرائيل فكل انباءبني اسرائيل كانوا من ذرية اسحاق عليه السلام. قال تعالى واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا - 00:16:08
فضلنا على العالمين. لوط ليس من ذرية ابراهيم انما هو ابن عمه او ابن اخيه كما قيل او من قبيلته انما ليس من ذرية ابراهيم عليه السلام فليس ابنا له - 00:16:39

وهذا ما جعل بعظامهم يقول المقصود بالظمير ومن ذريته نوح لأن لوطن ليس من ذرية ابراهيم وقيل بل هو من ذريته من جهة انه اخذ عنه العلم وكان معه تبني لما - 00:16:56

ارسله الله تعالى الى قومه قوم لوط وعلى كل حال هو ليس من من ذريته ولكنه تلقى عنه وذكره معهم لكونه من ممن نشأ على يد ابراهيم عليه السلام وتلقى عنه واخذ عنه - 00:17:14

والذرية نوعان ذرية نسل وذرية تلقى وعلم ووراثة هدى وهذا اوسع على كل حال المقصود من قراءتها ثم قال ومن ابائهم من اباء هؤلاء وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهدينناهم الى صراط مستقيم. وهذا اجتباه لكل من ذكر ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده - 00:17:38

ثم قال ولو اشركوا لحيط عنهم ما كانوا يعملون وبه يتبعين بركات التوحيد فكل هذه الخيرات هي بالتوحيد واخلاص العبادة لله. والناس ايها الاخوة يستقلون شأن التوحيد ويررون انه من فضول الحديث ان تتحدث عن عبادة الله وحده لا شريك له - 00:18:05 وهذا في الحقيقة من تزيين الشيطان ومن مداخله. اذ ان التوحيد اهم المهمات. ولهذا جميع المرسلين من نوح الى خاتمهم محمد بن عبد الله الى خاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم - 00:18:29

كلهم يدعون الخلق جاءوا لدعوة الخلق الى عبادة الله وحده لا شريك له. ومثل هذا لا يمكن ان يكون امرا فاضلة يعني ان امرا زائدا او امرا تكميليا. بل لا يمكن ذلك الا في اهم المهمات. ولما لا يمكن اهم المهمات - 00:18:47

الناس انما خلقوا لعبادة الله وحده فمتي خرجنوا عن هذا الاصل تورطوا في انواع الضلالات وصنوف الانحرافات؟ قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحيط عنهم ما كانوا يعملون - 00:19:05

الامام البخاري رحمه الله في هذه الآيات ذكر ما جاء في شأن يونس وهو من انباء من الانبياء المذكورين واختلف فيه هل هو من انباء بنى اسرائيل او لا؟ على قولين فقال جماعة من اهل العلم ان نوحا ان - 00:19:24

ان يونس عليه السلام ليس من انباء بنى اسرائيل بل هو قبل ابراهيم. بل قال بعضهم انه قبل نوح ولكن هذا ليس ب صحيح فان يونس اما ان يكون من ذرية نوح - 00:19:43

واما ان يكون من ذرية ابراهيم فاذا كان من ذرية ابراهيم فهونبي من انباء بنى اسرائيل عليه السلام ما ذكره الله تعالى من خبر يونس انه امره الله تعالى بامر فاستعجل - 00:19:57

هذا الامر وخرج مغاضبا فكان ما كان من مساهمته ركب سفينة فساهم اي فاقترع اهل السفينة في من يخرجون لينجوا بسفينتهم فكان السهم خرج على يونس فالقي في البحر فالتقمه الحوت وهو مليب - 00:20:19

فنادى في الظلمات ان لا الله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين. فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فانجاه الله تعالى بصلاته وبفزعه الى ربه في ظلمات - 00:20:46

بطن الحوت ولجة البحر لا الله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين. فنجاه الله تعالى فنبذ بالعراء وهو سقيم وهو مليم وبقي سقيما وانبت عليه شجرة من يقطين وهي شجرة ايش - 00:21:05

شجرة القرع الدب وذلك للطافة ملمسها غلظ ورقها الذي يحصل له به المقصود من الحماية بعد هذه الغيبة الطويلة في او الغيبة الممتدة في بطن الحوت فانجاه الله عز وجل. فلما كان قد وقع منه ما وقع عليه السلام - 00:21:28

قال النبي صلى الله عليه وعلى الله وسلم محذرا امته ان يتوهם احد انه افضل من يونس عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم لا يقول احدكم انا خير من يونس ابن متى ويومنس ابن متى نسب الى امه - 00:21:52

هي امه عليه السلام ونسبته الى امه اما لشهرتها او لسبب من الاسباب انما متى اسم لامه المباشرة او احد امهاته وهذا يجري في لسان العرب ان ينسب الرجل الى امه - 00:22:14

فيما وذلك لمناسبة اما ان تكون شهيرة بعمل او شهيرة علم او شهيرة بشيء فينسب اليها. قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذين الحديثين حديث عبد الله بن عباس - 00:22:33

وحدثت أبي هريرة الأول قال ما ينبغي لعبد أن يقول لعبد إن يقول أنا خير من يومنا ابن متى ما ينبغي يعني ويمنع ما ينبغي تستعمل بيان الامتناع وهو أما أن يكون امتناعا شرعا واما أن يكون امتناعا قدريا. من الامتناع القدري ما ذكره الله تعالى في -

00:22:49

قل هو ما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولدا فهذا ممتنع قدرا ومستحيل أن يكون ذلك في تقدير الله عز وجل وهو أيضا ممتنع شرعا واما هنا فان ذلك ممتنع شرعا ان يعتقد احد انه افضل من عيسى ابن متى عليه السلام. لكونه قد وقع منه ما وقع من - 00:23:15
بلاء بسبب مخالفته ما امر الله تعالى وما جرى له من التقام الحوت. فقال ما ينبغي لعبد أن يقول أنا يعني العبد يعني ان يقول العبد نفسه أنا خير من يومنا ابن متى - 00:23:42

فهونبي من انباء الله وله من المنزلة ما ينبغي ان تحفظ وان تCHAN فقد تاب الله تعالى عليه كما تاب على ادم في قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاتب عليه وهدى - 00:24:02

وقيل انما مقصود ان معنى قوله انا يعني الرسول صلى الله عليه وسلم يعني يعني الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه بهذا الظمير ما ينبغي لعبد ان يقول محمد صلى الله عليه وسلم خير من يومنا ابن متى. هذا المعنى الثاني الذي ذكره - 00:24:21
أهل العلم وهنا سؤال كيف يستقيم هذا مع كوننا نعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل الخلق وقد قال كما في الصحيح من حديث انس كما في حديث انس بن مالك رضي الله تعالى عنه انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر - 00:24:41

فكيف ينفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يقال ان يقال هذه المقالة وهو صلى الله عليه وسلم خير ليس فقط من يومنا ابن متى بل من كل احد. الجواب على هذا من جهتين - 00:25:01

الاول قال قال بعض اهل العلم ان هذا قبل ان يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه خير الناس وافضل الخلق هذا الجواب الاول ان قوله لا يقل ما ينبغي لعبد ان يقول - 00:25:16

انا خير من يومنا ابن متى يعني محمد خير من يومنا ابن متى ان ذلك قبل ان يخبر بخريته على الخلق وهذا فيه نوع من البعد فيه نوع من البعد فانه ولو لم يكن خير الناس فهو من اولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليه. هو من افضل الانبياء -

00:25:32

فيبعد هذا المعنى والاحتمال الثاني وهو الاقرب في معنى الحديث ان ذلك محمول على المفاضلة بين النبي ويونس فيما اذا كان ذلك على وجه التناقض لان المفاضلة تأتي على نحوين نحو النحو الاول تكون مفاضلة بين اثنين - 00:25:53
لبيان المنزلة والمكانة وهذا لا حرج فيه. قوله صلى الله عليه وسلم انا نعم انا سيد ولد ادم. فهنا بين فضلاته لكن هذا خبر عن واقع وانه خير الناس صلوات الله وسلامه عليه. فتكون المفاضلة لبيان السبق - 00:26:17

والتقدم وهذا ليس فيه اشكال النوع الثاني من المفاضلة يكون لتناقض المفضول وليس لاثبات الفضل للفاضل واضح ومنه ما جرى بين الصحابي والاسرائيلي لما اقسم بموسى عليه السلام او ذكر موسى في قسمه - 00:26:33

فضففعه قال وذلك لتفضيله على آآ لتفضيله موسى على النبي صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفاضلوا بين الانبياء فالنبي عن المفاضلة بين الانبياء هنا ليس للغاء الفضل لكن لدفع توهمن ان المفاضلة تقتضي التناقض - 00:27:00
عندما تأتي المفاضلة سياق التناقض او في سياق التناقض عند ذلك تكون ما تكون منها عندها وعدناكم نعطي وقتا للاسئلة فنقتصر على هذا فيما يتعلق التفسير نستمع الى ما جاء من اسئلة - 00:27:25